

المتقف وسقف الأمة في نص "واجب المتقفين نحو الأمة للإبراهيمي"  
د. وليد خضور جامعة محمد خيضر بسكرة

الملخص:

تقترح هذه الورقة تحليل مجموعة مقولات ثقافية في نص من آثار الشيخ الإبراهيمي على ضوء المقاربة بالأنساق الثقافية من أجل الوصول إلى ماهية المتقف الإبراهيمي؛ حيث تناولت مفاهيم الثقافة والأمة من خلال تصورات الكاتب لها مع اعتبار السياق الكولونيالي الذي عاش فيه. الكلمات المفتاحية: الإبراهيمي، المتقف، الأمة، الأنساق، المكانة، الدور.

*Résumé :*

*Cet article propose une analyse d'un ensemble de concepts culturels tirés des livres de Sheikh Ibrahimi À la lumière de l'approche des systèmes culturels, Afin d'atteindre la définition de l'intellectuel liBrahimi, OÙ elle a abordé les concepts de la culture et de la nation à travers les perceptions de l'écrivain, avec la Prise en compte du contexte colonial dans lequel il a vécu.*

*les mots clés :*

*Ibrahimi, L'intellectuel , La nation, les Systèmes , Statut, Rôle.*

مقدمة:

تقترح هذه الورقة البحثية تشوير سؤال المتقف في علاقاته البنوية وإشكالاته المعرفية، وتحدياته الأنطولوجية؛ إذ إن مقولة المتقف استأثرت بالإبستمولوجيات المعاصرة وتراكت حولها إسهامات متنوعة في حقولها، متعددة في توجهاتها، منحت مركزية معرفية لسؤال الثقافة والمتقف، وتسعى هذه الورقة إلى بناء مفهوم المتقف في النص "الإبراهيمي" من خلال نص من آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي "حيث إن الغاية الأساسية هي إعادة قراءة

نصوص الإمام التي حققت الوعي بماهية المثقف ووظيفته ضمن الفضاء الكولونيالي الذي كتب فيه "الإمام" فنكون إزاء نصوص لمثقف كتب وناضل ضد الهيمنة الكولونيالية.

إن قراءة نصوص الإمام هي تشكيل وبناء للمثقف داخل هذه النصوص، ومحاولة للبحث عن تأسيس منطلقات أو مرجعيات فكرية وثقافية وطنية من داخل النصوص الإبراهيمية، وعلى ضوء هذا التصور فإن هذه المقاربة تستأنس بالإجراءات الوظيفية التي نجدها أقرب إلى تحقيق الغاية من هذه القراءة، حيث إن الإمساك بزئبقية مصطلح المثقف لا تتم إلا من خلال تحديد معامل الوظيفة، الذي يمكننا حسب "غرامشي" من تحديد المثقف من اللامثقف، كما أن مفهومي الثقافة والأمة يمكن النظر إليهما على أنهما نسقان عامان يضمنان أنساقا فرعية متساندة تتبني من خلالهما المقاربة الأنساقية الوظيفية لهذه الورقة حيث عمد البحث إلى تحليل مقولات المثقف والثقافة والأمة والتي مهد بها إلى ولوج نص "واجب المثقفين نحو الأمة"<sup>(1)</sup>.

الذي يجد فيه البحث ملامح الوعي عند الإمام بسؤال المثقف وأدواره المجتمعية، وهنا نتساءل: ماهي صور المثقف الإبراهيمي وكيف تشكلت داخل هذا النص؟ وما هي القضايا التي يطرحها؟ والإشكالات التي يُثيرها حول أسئلة الثقافة والأمة؟

### 1- مفهوم الأمة:

يتحدث "ألان تورين" في كتابه "براديغما جديدة لفهم عالم اليوم" على أن اللحظة الراهنة هي لحظة المقولات الثقافية بامتياز؛ إذ إن "عالم ما بعد اجتماعي" لم تعد تنظمه التصورات الاجتماعية التي انزاحت لصالح المقولات الثقافية بسبب هذا المجتمع الجماهيري<sup>(2)</sup>، الذي أسس مفاهيمه الجديدة والتي لا بد من النظر إليها من خلال المقاربات الثقافية، إن هذا الطرح يتناسب كثيرا مع تحليلنا لمفهوم الأمة، هذا المفهوم السديمي الإشكالي الذي تتباين فيه وجهات النظر

ويخلق جدلا واسعا عند المشتغلين عليه، ويأخذ طابعا إيديولوجيا عند مستعمليه، ولذلك فإن تحليله كمقولة ثقافية قد ينزع عنه غلالة الإيديولوجي ويكسبه مرونة في التحليل والاستعمال.

تُحيل المعاجم العربية في مادة " أمم " على عدة معان: «كالأصل، والأم، والعلم الذي يتبعه الجيش وسيد القوم، والجماعة، والطريقة، والدين، والقامة، والنعمة، والقصد»<sup>(3)</sup>.

وبالنظر إلى كل هذه المعاني التي تطرحها كلمة أمة في المعاجم والقواميس العربية نجد أنه يمكن القول بأن مفهوم الأمة هو نسق عام تنتظم فيه أنساق فرعية، حيث تتحول هذه المعاني إلى متساندات لغوية تدعم مفهوم الأمة في بعده الاصطلاحي، فالأم هي الأصل والأرض والمنبت إزاء الأمة التي هي أم الأفراد، وهي من تجمعهم ضمن جغرافية واحدة، وكذلك العلم الذي يحدد الوجهة كما تحددها الأمة، وعلى ذلك تقاس بقية المعاني التي لا يتسع لذكرها المقام.

إن مفهوم الأمة في ثرائه اللغوي جعل تحديده الاصطلاحي يفتح على عدد كبير من التخريجات تتوافق والتوجهات الإيديولوجية لمتبنيها؛ حيث نظر البعض لمفهوم الأمة في محده اللغوي، فكانت اللغة هي نواة نسق الأمة وآخرون آثروا اعتبار العرق، والبعض تحدث عن تاريخ مشترك وفيهم من اعتبر الجغرافيا هي ركيزة تحديد الأمة، فيما ينظر آخرون إلى أن مفهوم الأمة متداخل مع مفهوم الدولة والوطن «حيث إن الدولة هي الوطن الفعلي والأمة هي الوطن المعنوي»<sup>(4)</sup>.

وفي كل هذه التوصيفات كان الفهم الإيديولوجي هو المسيطر في تشكيل مفهوم الأمة، فالتوجهات القومية اعتبرت أن الأمة لا تتأسس إلا من خلال البواعث القومية فيها التي هي صمام الأمان، وعامل التماسك فيها، فالحديث عن الأمة العربية لا يكون إلا بتكريس العوامل القومية كاللغة والمصير المشترك

والعرق، هذا ما رفضته التوجهات الدينية التي تربط تماسك الأمة ووحدتها بالدين الذي يتوفر على أسباب الوحدة والتماسك، وبالنظر إلى القرآن الكريم نجد أن لفظ الأمة ورد في عدد كبير من آيات التنزيل الحكيم حاملا معان متعددة تستشف من سياق الآيات مما جعله من المفاهيم المركزية في القرآن، فقد ارتبط ذكره بالحديث عن الأفراد وعن الجماعات، وحتى عن الحيوانات<sup>(5)</sup>، وفي النصوص التراثية نجد أن مفهوم الأمة عند الفرابي يتداخل مع مفهوم الملة مع تمييزه للأمة في ربطها بالأبعاد الاجتماعية والمدنية، وعند " ابن خلدون " يعتبر الدارسون أن مفهوم الأمة غاب بالقياس على مفهوم العصبية والدولة والعمران، وإن كان قد أشار للعلاقة بين الأمة والوطن<sup>(6)</sup>.

ويجمل "ناصيف نصار" في تنظيراته حول الأمة هذه التصورات في أربعة اعتبرها تحدد تلك الروابط المختلفة في فهم الأمة عند التوجهات المختلفة وهي<sup>(7)</sup>:

- التصورات الدينية.
- التصورات الغوية.
- التصورات الإقليمية.
- التصورات السياسية.

إنه وبالنظر إلى هذه التصورات التي تجعلنا لا نستكين إلى تصور محدد منها للأمة مما قد يحمله من محمولات إيديولوجية، فإننا يمكن أن نعود إلى تصور "جمعية العلماء المسلمين" لهذا المفهوم، كونها المؤسسة الثقافية التي انتسب إليها الإمام الإبراهيمي مما يجعل من فهمها للأمة يتوافق ولو نسبيا مع فهم الإمام فقد ميّز الشيخ "عبد الحميد ابن باديس" بين مفهومي الدولة والأمة واعتبر أنه بالإمكان أن تكون هناك أمة مع عدم امتلاكها دولة لاحتلالها أو اندماجها مع أمم أخرى، وينظر إلى أنه يمكن أن تجتمع أمتان أو أكثر في دولة

واحدة مع احتفاظ كل أمة بخصائصها ومميزاتها التي تتحدد من خلال ثلاث معايير هي: اللغة والعقيدة والتاريخ<sup>(8)</sup>.

لقد استجاب مفهوم الأمة عند "ابن باديس" إلى تأثير الظروف التي عايشتها الجزائر بفعل الهيمنة الكولونيالية، فكان فهمه لها مرتكزا على المقومات الوطنية القومية والبواعث الدينية ترسيخا وتدعيما لمفهوم الأمة الجزائرية، هذا المصطلح الذي كثيرا ما نجده في كتابات الإمام "والذي يشي بقوة ومثانة المشروع الثقافي الذي صدر عنه هو وعلماء الجزائر.

إن مفهوم الأمة كما يراه البحث هو نسق ثقافي ناظم حوله أنساق فرعية تابعة له تتحدد وظيفته من خلال الحفاظ على الوحدة والتماسك الاجتماعي، وربما نجد في فهم المفكر السوري "محمد شحرور" -صاحب القراءات الرائدة للقرآن الكريم- ما يحملنا على القول بثقافية الأمة، حيث يعتبر "محمد شحرور" أن مفهوم الأمة في القرآن الكريم ينطبق كثيرا على تعريفات الثقافة اليوم<sup>(9)</sup>، حيث يورد عددا هاما من التعريفات الرصينة للثقافة ويقارنها بمفهوم الأمة في سياقات النصوص القرآنية، وينظر إلى قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾ (هود/118) على أن "هذه الآية تؤسس للمرحلة التاريخية التي لا تزال قائمة ويستمر فيها اختلاف الثقافات وتباينها إلى نهاية التاريخ<sup>(10)</sup>.

## 2- مفهوم الثقافة:

يطرح مفهوم الثقافة إشكاليات كبرى تفوق ما يطرحه مفهوم الأمة، وربما يمكن أن نجزم أن حدود الثقافة وقضاياها من الموضوعات التي لا يمكن أن نقف فيها على أرضية صلبة للتعريف، ولعل هذا ما جعل "ريموند وليامز" يقول: «لا أعرف كم مرة تمنيت لو أنني لم أسمع بهذه الكلمة اللعينة»<sup>(11)</sup>، حيث يعتبر أنه من فرط استعمالها صار من الأجدى الحديث عن الثقافة في تقطعاتها وأجزائها والاشتغال على قضاياها فيها مباشرة دون التعرض إلى الثقافة

في كليتها التي تُراكم عددا كبيرا من المفاهيم، فقد أحصى عالمي الاجتماع "كروبر ألفريد" و "كلايد كلوكهن" في خمسينيات القرن الماضي ما لا يقل عن "164" تعريف للثقافة<sup>(12)</sup> وفي اللحظة الراهنة قد نتحدث على ما لا نهاية من التعريفات لها، خاصة مع ظهور حقول الدراسات الثقافية والتي منحت للثقافة أبعاد جديدة جعلت مهمة رسم حدود لها تبدو شبه مستحيلة ضمن هذه الحقول المعرفية الجديدة<sup>(13)</sup> التي ظهر فيها مفهوم الثقافة العليا والخفيضة والجماهيرية والإثنية وثقافة العرق وثقافة الهامش وغيرها من المصطلحات.

وينقل "دافيد انجليز" و "جون هيوسين" في كتابهما "مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة" تعريفا متكاملا للثقافة يغطي المفهوم من زوايا متعددة؛ إذ يعرفانها في ستة عناصر<sup>(14)</sup>:

- 1- الثقافة أنماط فكرية ومعتقدات وقيم شائعة بين الأفراد.
- 2- الثقافة متعددة بتعدد الأمم والأعراق والإثنيات.
- 3- الثقافة تحتوي على المعنى.
- 4- الثقافة شبكة من الرموز.
- 5- الثقافة تُعَلَّم.
- 6- الثقافة اعتباطية لا طبيعية.

إن هذه النقاط الستة تستعرض وتكثف جملة من التعريفات للثقافة حيث تأخذ منها الجوانب الأساسية التي من خلالها نستشف الفهم المتكامل للثقافة، ويعتبر "كليفرورد غرينتز" أن الفهم السيميائي "Sémiotique" للثقافة بوصفها شبكة رمزية من العلامات أقرب فهما إلى روح العصر من حيث الدقة وسهولة التطبيق<sup>(15)</sup>.

وكون هذه الورقة ذات منحى وظيفي كان لزاما علينا الحديث عن تعريف الوظيفية "Le fonctionnalisme" للثقافة التي تنظر لها كنسق عام يحتوي على انساق فرعية، ف"برسونز" كأحد أكبر المنظرين الاجتماعيين للوظيفية يعتبر أن

الثقافة «هي كل سلوك اجتماعي قائم على الرمز<sup>(16)</sup> ويتحدث عن النسق الثقافي الذي يتكون من أنساق فرعية<sup>(17)</sup> هي :

- أنساق الأفكار والمعتقدات.
- أنساق الرموز التعبيرية.
- أنساق التوجيه القيمي.

إن مفهوم النسق الثقافي عند "برسونز" يأخذ أهميته في كونه "نمطا للتماسك" بين أنساق الفعل الأخرى، كنسق الشخصية، والنسق الاجتماعي، والنسق البيئي<sup>(18)</sup>؛ حيث أن مركزيته بين أنساق الفعل جعلته حافظا للتوازن والتماسك الاجتماعي، وهذا راجع لقدرة الثقافة على بناء التوازن الاجتماعي الذي في غيابه لا يمكن الحديث عن مجتمع صحي ومتماسك، وربما هذا ما جعل الإبراهيمي يقول: «المتقنون هم حفظة التوازن في الأمم، وهم القومة على الحدود أن تهدم وعلى الحُرّمات أن تنتهك وعلى الأخلاق أن تترغ»<sup>(19)</sup>.

إن هذا الوعي الذي يحققه الإبراهيمي في مسألة الثقافة ودورها في الحفاظ على التوازن الاجتماعي يتجلى بوضوح في تعريفه لها، يقول الإمام: «كلمة المتقف آتية من تثقيف الرمح وهو تقويم قناته بغمزها وتشذيب زوائدها الناتئة وإزالة الاعوجاج من كعوبها، ويقولون للغلام المتدرب على اللعب بالسلاح وعلى الرمي بالحرب والتلاعب بالرمح، غلام مثقف وهو وصف قريب الصلة بكلمة التثقيف، ولم تكن العرب تستعمل كلمة مثقف بالمعنى الذي نعرفه الآن، وإنما كانوا يقولون في مثله رجل لقن وزكن ويقولون في معنى الثقافة عندنا اللقانة والزكانة ولما جاءت نهضتنا الحاضرة اختارت للدلالة على هذا المعنى كلمة الثقافة وجعلتها ترجمة لكلمة إفرنجية»<sup>(20)</sup>.

إن الإبراهيمي في هذا التعريف اللغوي للثقافة يشير إلى غياب معناها الاصطلاحي في المعجم العربي، ويجتهد في تقديم كلمات عربية تكون قريبة لمعنى الثقافة كما نعرفه اليوم، فيذكر كلمة "اللقانة" و "الزكانة" اللتان في تقديره

تقتربان من معنى الثقافة في المعاجم العربية؛ ذلك أن هذا الغياب في المعاجم العربية لم يمنع الثقافة من الحضور في التراث العربي كفعل وممارسة<sup>(21)</sup>.

ويواصل "الإبراهيمي" تعريفه للثقافة فيقول: «وقد تتسع الثقافة بوفرة الحظ من الأخلاق وكثرة المعلومات وقد تضيق بقلنتها وقد تنقسم باعتبارات جنسية أو لغوية أو دينية فيقال: الثقافة العربية أو الفرنسية ويقال: الثقافة الإسلامية أو المسيحية مثلا، وإنني محدثكم عنها على حسب ما أتذوقه من روح الكلمة في مدلولها العربي وعلى ما أعلم من تطبيقها في العرف الشرقي الراقي في نهضته الفكرية الحالية فإن رأيتم في كلامي بعض المخالفة لمعناها الإفرنجي فعذري أني لا أعلم مدى ما يراد منها في ذلك الاصطلاح<sup>(22)</sup>» إن هذا النص "الإبراهيمي" يؤكد على ما ذهب اليه من وعي الإمام بسؤال الثقافة حيث نجده يتحدث عنها في تعددها واختلافها، ويعتبر تصوره الخاص لثقافة منزوع من روح المصطلح العربي، على أن هناك دلالات أخرى للكلمة في لغات أخرى، مما يدل على هذا الوعي بالسياقات المختلفة التي تعطي للكلمة تنوعا دلاليا لا ينكره الإمام أو يكتفي بالمعنى العربي على أنه المعنى الأوحد.

### 3- المثقف في تصوّر الإبراهيمي "المكانة والدور":

إن الحديث عن مفهوم المثقف ليس أقل ضبابية ولا صعوبة من الحديث عن مفهوم الثقافة؛ إذ إن كلمة مثقف على كثرة استعمالها وإطلاقها أصبحت غير واضحة ولا محددة، فمن هو المثقف؟ وما هي أدواره التي تميزه؟ وهل هناك فرق بين المثقف والمتعلم ورجل الدين والأكاديمي والباحث والخبير والإداري وغيرها من الكلمات التي لانجد حرجا في استبدالها أو تدعيمها بكلمة مثقف، كونها تتداخل معها في بعض الوظائف والصفات، حيث نجد أنفسنا مجبرين على التساؤل: من هم المثقفون؟ هل هم فئة معينة في المجتمع منتقاة بعناية؟ أم هم مجموعات كبيرة؟



تقدم الدراسات الغربية حول إشكالية المثقف تحديات لمرحلة ظهور المثقف كفاعل داخل المجتمع حيث تعتبر أن الخروج من هيمنة الكنيسة وعلمنة المجتمع الغربي الذي دخل الحداثة ملغيا سلطة الكنيسة ورجال الدين، ومؤسسا لتعددية دينية وحرية فكرية ومعلنا سيادة حقوق الإنسان؛ حيث إن المثقف أو الانتلجنسيا عند "غرامشي" يمكن النظر إليه كبديل عن رجل الدين في الكنيسة، يتوافق مع المراحل التاريخية الجديدة<sup>(23)</sup> وعلى كل فإن الكثير من الباحثين وخاصة الفرنسيين منهم والذين دائما ما يعملون على نسبة ميلاد المثقف للثقافة الفرنسية، ويقرنون هذا الميلاد بزوال سلطة الكنيسة، وتبقى اللحظة الدارفوسية<sup>(\*)</sup> كإعلان حقيقي وقوي على ميلاد المثقف والتي دشنها "إميل زولا" في رسالته المفتوحة إلى الرئيس الفرنسي "فليكس فور" والتي تبدأ بعبارة: "إني اتهم j'accuse"<sup>(24)</sup> إن رمزية هذا الإعلان تشكلت من خلال الاعتراض واتخاذ موقف من طرف الكثير من الوجوه الأدبية والفنية الفرنسية، ورفضهم للظلم المسلط على الجندي الفرنسي بعدما تبين انه بريء من تهمة الخيانة الموجهة له.

لقد تعددت التصورات حول المثقف بالنظر إلى وضعيته داخل الحيز الاجتماعي الذي يشغله والدور المنوط به بعد ذلك، وفي كل هذا نجد مقاربات متعددة حول المثقف، فإدوارد سعيد" يعتبر أن المثقفين هم «هؤلاء الأشخاص الذين لا يمكن التنبؤ بسلوكهم العام ولا إخضاعهم لشعار ما أو خط حزب مبدئي قويم، أو عقيدة ثابتة»<sup>(25)</sup> فهو يصف المثقف دائما على انه «منفي، هامشي وهاو ومؤلف لغة تحاول إن تقول الحقيقة للسلطة»<sup>(26)</sup> فالمثقف عند "سعيد" هو شخص دائما ما يأخذ تلك المسافة النقدية من السلطة ولا يتوقف على تقديم الأسئلة المحرجة والمربكة لها، مع عدم قدرة السلطة على احتوائه، وحتى يتسنى له هذا لابد أن يتمتع بمواهب وقدرة على حمل الأفكار والتعبير عنها والإقناع بها، فهو حامل أفكار ومدافع عنها بالأساس، إن "سعيد"

في كل تصوراته حول المثقف كما يقول "عزمي بشارة" يقدم المثقف في موقف الغريب والهامشي<sup>(27)</sup> فهو دائم العداة والبعد عن المركز إذ لا يمكنه الصدور عنه والانضواء تحت راية أي سلطة كيفما كانت، فهو عادة ما ينأى عن كل هذه الشبهات التي قد تحد من حريته في ممارسة فعل النقد، فالمثقف عند "سعيد" محكوم بتلك الزوايا الثلاث التي يتحدث عنها "عبد الإله بلقزيز" في كتابه "نهاية الداعية" وهي: السلطة، الجمهور، والمعرفة<sup>(28)</sup> حيث أن النظر إلى المثقف يتم من خلال تلك المسافة النقدية التي يتخذها من هذه الثلاثية، هذه المسافة هي من تمنحه تلك الشرعية التي من خلالها يمتلك سلطة رمزية/سلطة المعنى عند "بيير بورديو"<sup>(29)</sup>، فشرعية المثقف مرهونة دائماً بتلك المسافة وذلك الرفض الكبير الذي يمتاز به، وخاصة في علاقته بالسلطة، فـ"ماركوز" يعتبر أن المثقفين «يقولون بالنفي وينحازون إلى الشأن العام ويشككون في الحقيقة الرسمية السلطوية ولذلك هم في عداة دائم مع السلطة والمؤسسات»<sup>(30)</sup> وفيما يخص المعرفة فإن علاقة المثقف بها هي علاقة تجديدية، فهو دائماً ما يحاول التأسيس للتجاوز في معارفه ولا يقبل كل شيء إلا من خلال المصفاة النقدية، ويحيا على تحويل معارفه وعلومه إلى سلوكيات ومواقف من خلالها يُفَعِّل المعرفة ويحوّلها إلى "موقف نقدي" وفي علاقة المثقف بالجمهور الذي هو الركن الأساسي في منح الشرعية للمثقف يكون مفهوم الانخراط والالتزام بقضايا الناس هو الهدف المركزي للمثقف؛ إذ لا وجود لمثقف معزول عن الناس وإن كان هذا لا يمنع من أن تكون شخصية المثقف انفرادية من ناحية التفكير والتنظير منغمسة في المجموعة من ناحية السلوك والتعبير<sup>(31)</sup>.

بالعودة إلى نص الإمام "الإبراهيمي" "واجب المثقفين نحو الأمة" نجده يعرف المثقف بـ: «المثقف هو الرجل المهذب المستنير الفكر المجوهر العقل المستقل الفكر في الحكم على الأشياء، الجاري في تفكيره على قواعد المنطق لا على أساس التخريف، المطلع على ما يمكن من شؤون العالم وتاريخه الملم

بجانب من معارف عصره»<sup>(32)</sup> إن تعريف الإمام للمثقف يؤكد على انه يدرك جيدا ماهية المثقف؛ حيث يميزه عن المتعلم، فالحديث عن المعرفة كصفة للمثقف تركها للأخير، وبدأ بخلع صفات أخلاقية وعناصر تكوينية لا بد أن تكون في الشخص حتى نقول عنه بأنه مثقف، لأن المثقفين كفئة بشرية تشكلت تاريخيا لم تتأسس على خطاب معرفي بقدر ما كانت تختص بصفات وسلوكيات ومواقف، فمفهوم الانتلجنسيا " Lintelligensia " كمفهوم قادم من الثقافة الروسية «لا يرتبط بمؤهل أو دبلوم علمي أو اختصاص بل برفض الواقع السائد وتغييره»<sup>(33)</sup>، بمعنى أن الإمام كان على وعي بان ما يجعل المثقف مثقفا ليست المعرفة بالدور الأول، بل الممارسات والسلوكيات.

إن حديث الإمام على صفة التنوير في المثقف «المثقف هو الرجل المهدب المستتير» كسمة أساسية يشترك في التأكيد عليها الإمام مع عدد من المنظرين الكبار لإشكالية المثقف، حيث نجد "جيرار ليكلرك" يتحدث كثيرا عن الجوانب التنويرية في المثقف<sup>(34)</sup>، ونجد الإمام يتحدث عن استقلالية الفكر «المستقل الفكر في الحكم على الأشياء» مؤكدا على المسافة النقدية التي لا بد من توفرها في المثقف حتى تكفل له استقلالية الفكر والابتعاد عن التأثيرات النفسية أو الإثنية أو الفئوية في الحكم على الأشياء فتكون له استقلالية فكرية تجعله لا يؤمن إلا بالقيم الخالدة للحقيقة والعدالة التي تحركه لدفاع عنها حسب "جوليان بيندا" في كتابه " خيانة المثقفين " <sup>(35)</sup>.

إن الإمام في رؤيته حول المثقف يؤسس لمثقف جزائري يعي شروط المراحل التاريخية ويحسن التعامل معها وهو في هذه الرؤية يقدم تصورا وظيفيا حول المثقف؛ إذ بدءا من العنوان يتحدث الإمام عن مفاهيم "الدور والمكانة" فهو حين يعنون نصّه بـ"واجب المثقفين نحو الأمة" ويتحدث عن الأدوار "الواجبات" نجده داخل النص يذكر ويؤكد على المكانة التي لا بد من أن ينالها المثقف في الأمة حتى يستطيع تحقيق الأدوار المنوطة به، يقول: «والمثقفون في الأمم الحية

هم خيارها وسادتها وقادتها وحراس عزها ومجدها تقوم الأمة نحوهم بواجب الاعتبار والتقدير ويقومون هم لها بواجب القيادة والتدبير»<sup>(36)</sup> وعبر توارد فقرات النص نجد الإمام يحثُّ على ضرورة إيجاد مكانة خاصة للمثقفين في المجتمع "سلطة ثقافية" هذه المكانة التي لا تتحقق إلا إذا اقتنع الناس بأهمية الثقافة والمثقفين يقول: «ولا نطمح في زيادة عدد المثقفين إلا إذا زاد شعور الأمة بضرورة التثقيف»<sup>(37)</sup>، إن الإمام يرى أن حضور المثقف في غياب تلك السلطة الرمزية التي تتأتى من استجابة الجمهور وتقديره له، حضور لا معنى له إذ إن زيادة عدد المثقفين يرتبط بزيادة الوعي داخل المجتمع بأدوارهم، وهنا ينتقل للحديث عن كيفية اكتساب المثقف لهذه السلطة الرمزية التي لا يمنحها المجتمع له إلا بعد اندماج وامتزاج هذا المثقف بالمجتمع، فالإمام لا يقرّ بمثقف البرج العاجي المنفصل عن الواقع وغير الملتمزم بقضاياها يقول: «الامتزاج بالأمة والاختلاط بطبقاتها والتحبب إليها ومشاركتها في شؤونها الاجتماعية والدخول في مجتمعاتها ومعابدها ومشاركتها في عبادتها وفي الصالح من عوائدها، فبذلك تحصل الثقة منها وتتقاد لكل ما يريده منها وبذلك يسهل على المثقف أداء واجبه على أكمل وجه، وثقة الأمة بالمثقفين هو رأس المال في هذا الباب»<sup>(38)</sup>.

إن "الإبراهيمي" في هذا النص يتحدث عن الامتزاج والانخراط في الأمة التي من خلالها يمكننا أن نحكم على الشخص بالمثقف أو بأدائه للدور الثقافي -حسب"غرامشي"- الذي يعتبر في كتابه "دفاتر السجن" «إن كل الناس مثقفون، ولكن ليس كل الناس يمارسون وظيفة المثقف في المجتمع»<sup>(39)</sup>

ف"الإبراهيمي" يعي جيدا ضرورة انخراط المثقف في المجتمع وصدوره عن جماهير الناس واهتمامه بقضاياهم وشؤون أمتهم؛ إذ إن هذا السلوك النقدي التواصلية مع الناس هو ما يميّز المثقف، عن غيره حسب "جوزيف شومبتير"<sup>(40)</sup> هذا الانخراط في المجتمع هو ما يمنح الثقة الاجتماعية الجماهيرية للمثقف فتتشكل تلك السلطة الرمزية عنده، فتثقة الأمة حسب "الإبراهيمي" هي

رأس المال الثقافي للمثقف بلغة "الإبراهيمي" وكذا "بورديو" إن الثقة التي يتحدث عنها "الإبراهيمي" تجسدت حقا فيه وفي أعضاء جمعية العلماء كما يرى "عبد الله الحمودي"، فقد انشغل علماء الجزائر «بإعادة تجديد وبعث الهوية الجزائرية في وجه المستعمر وبذلك ضمنوا لأنفسهم وفاء الجماهير وثقتهم، إذ أنهم انكبوا على قضايا الناس الملموسة واهتموا باليومي في جموع الشعب بما اتصل بالأخلاق والعلاقات الاجتماعية والعبادات»<sup>(41)</sup> فتحقق فيهم مفهوم المثقفين المنخرطين، وإزاء هذا النموذج من المثقف المنخرط يذكر الإمام نموذج المثقف السلبي أو الخامل<sup>(42)</sup> المنسحب عن شؤون الناس والمجتمع، إن هذا المثقف عند الإمام هو مرض وبلاء في الأمة يكون تأثيره سلبيا فيها، وفي هذا الصدد من الحديث عن أنواع المثقفين نجد الإمام يذكر نموذجين من المثقف في الأمة الجزائرية " المثقف ثقافة إسلامية والمثقف ثقافة أوروبية" ويتحدث عن ضرورة تكاملهما وتواصلهما وبناء ما يمكن وصفه بالكتل الثقافية التي تساهم بتشكيل ملامح مرجعية للأمة الجزائرية تأخذ من كلا النموذجين ما هو صالح ورصين، ولا يتوانى الإمام في نقد العقل الفقهي الجامد الذي نظر بعين الريبة ومارس الإقصاء للمثقفين ثقافة أوروبية، يقول الإمام : «إذا كان أمر الدين في الأمة موكولا إلى طائفة من الفقهاء الجامدين لا يفهمون من حقائق الدين ولا من أسراره شيئا ولا يعلمون من لغته إلا قشورا فكانوا يسيئون الظن بالمثقفين ثقافة أوروبية ويحكمون عليهم بالخروج من الدين ويشوهون سمعتهم عند الأمة»<sup>(43)</sup>.

إن هذا النقد من "الإمام" هو بيان لما حازه من صفاء عقل وقوة تفكير وعمق تدبّر ونفاذ رؤية حيث أن فهمه للأمة وتحديده لسقفها يتأسس على وعي بالاختلاف والتكامل في بناء الأمة الجزائرية بالانفتاح على الثقافات الأخرى ومثاقفتها وعدم النظر إلى الثقافة الأصلية المحلية على أنها الثقافة الوحيدة الصحيحة والصالحة في الأمة و انكفاء بها والانطواء عليها والنكوص والارتداد

إلى الماضي الثقافي الذي يعبر عن شعور بالهزيمة ويدلل على عمق الأزمة في أي ثقافة (44).

إن "الإمام" وبالرغم من الفضاء الكولونيالي الذي يفكر داخله كان يحقق وعيا ثقافيا متوثبا متفردا بمسألة المثقف ودوره ومكانته في المجتمع، حيث أسس لثقافة الانفتاح والاختلاف في الأمة دون تجاوز مثقفها أي شرط من شروط توازنها وتماسكها والتي يسميها "روح الأمة" فيقول: «توحدت طرائق التنقيف وجرت على ما يوافق روح الأمة في دينها وعقائدها الصحيحة وتاريخها ولغتها وجميع مقوماتها» (45)، إن هذا السقف الذي يحدده "الإمام" للأمة هو رهان المثقفين الجزائريين في تنوعهم واختلافهم وانفتاحهم على عديد الثقافات من أجل الخروج من نير الاستعمار وللقضاء على البواعث الكولونيالية في الأمة الجزائرية.

إن الإمام محمد "البشير الإبراهيمي" من خلال هذا النص وكل آثاره دائما ما حقق سؤال الوعي بالمثقف والحاجة إليه في الأمة كون المثقف هو سبيل الخلاص من حالة الجهل والاستغلال التي فرضتها الحالة الكولونيالية.

#### خاتمة:

يوجز البحث أهم النقاط التي توصل إليها في هذه الورقة والتي كانت:  
- موضوع إشكالية الثقافة والأمة من أهم الإشكاليات التي ناقشها "الإمام" في آثاره مع ما تحمله من غموض مفاهيمي والتباس اصطلاحي.

- نص " واجب المثقفين نحو الأمة" هو نص يعبر عن رؤية متوثبة للإبراهيمي بالنظر إلى القضايا المركزية التي تخص المثقف والتي جاء "الإمام" على ذكرها ومناقشتها.

- من خلال هذا النص " للإمام" يمكن أن نتحدث عن ملامح المتقف الإبراهيمي ذلك المتقف الذي يؤسس للاختلاف ويلتزم بقضايا الأمة ويسقفها.

- إن الوعي بدور ومكانة المتقف في المجتمع هو الإشكال الذي ينبئ عليه هذا النص الإبراهيمي.

(1) - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، 1940، 2، 1952، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار البصائر الجزائر، ط2008، ص1، ص122.

(2) - ألان تورين، براديفغا جديدة لفهم عالم اليوم، تر: جورج كتوره، المنظمة العربية لترجمة، لبنان، ط2001، ص1، ص315.

(3) - السيد عمر، مقارنة إسلامية في بناء مفهوم الأمة، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، ع27، 2011، ص38-39.

(4) - المرجع نفسه، ص65.

(5) - محمد شحرور، الدولة والمجتمع، دار الأهالي، سوريا، (دط)، (دس) ص60 وما بعدها.

(6) - نبيل فازيو، مفهوم الأمة عند ناصيف نصار، مجلة المستقبل العربي، ع450، 2016، ص138.

(7) - المرجع نفسه، ص136.

(8) - رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، دار كوكب العلوم الجزائر، ط1، 2007، ص335.

(9) - محمد شحرور، الدولة والمجتمع، ص68-69.

(10) - المرجع نفسه، ص67.

(11) - طوني بينيتس وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2010، ص227.

(12) - دافيد إنجلز، جون هيويسين، مدخل إلى سوسيوولوجيا الثقافة، تر: لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسة، قطر، ط1، 2013، ص16.

(13) - رونان ماكدونالد، موت الناقد، تر: فخري صالح، دار العين للنشر، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2014، ص135.

- (14) - دافيد إنجلز، جون هيويسين، مدخل إلى سوسولوجيا الثقافة، ص 17-18.
- (15) - كليفورد غريتز، تأويل الثقافات، تر: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2009، ص 82.
- (16) - محمد عبد المعبود مرسي، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، درأ سحر مصر، ط1، (دس)، ص 92.
- (17) - المرجع نفسه، ص 93.
- (18) - محمد عبد الكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 2007، ص 188.
- (19) - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 126.
- (20) - المرجع نفسه، ص 125.
- (21) - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، سوريا، ط11، 2005، ص 20.
- (22) - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص 126.
- (23) - جيرار ليكلرك، سوسولوجيا المثقفين، تر: جورج اكتور، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2008، ص 31.
- (\*) - دارفوس: الجندي الفرنسي اليهودي الذي اتهم بالخيانة مع براءته مما جعل الكثير من الكتاب والمبدعين يتعاطفون معه.
- (24) - علي صالح المولى، هل من حاجة اليوم إلى مثقف هوي، مجلة تبين، ع 13، مج 4، 2015، ص 59.
- (25) - إدوار سعيد، الآلهة التي تفشل دائماً، تر: حسام الدين خضور، دار التكوين، لبنان، ط1، 2003، ص 08.
- (26) - المرجع نفسه، ص 11.
- (27) - عزمي بشارة، عن المثقف والثورة، مجلة تبين، ع4، مج 1، 2013، ص 135.
- (28) - عبد الإله بلقزيز، نهاية الداعية الممكن والممتنع في ادوار المثقف، المركز الثقافي العربي، 2000، ص 7-8.
- (29) - ستيفان شوفالييه و كريستيان شوفري، معجم بورديو، تر: الزهرة إبراهيم، دار النايا، الشركة الجزائرية السورية للنشر ط1، 2013، ص 181.
- (30) - جيرار ليكلرك، سوسولوجيا المثقفين، ص 60.



- (31) - المرجع نفسه، ص 78.
- (32) - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص125.
- (33) - عزمي بشارة، عن المثقف والثورة، ص 129.
- (34) - جبرار ليكلرك، سوسيولوجيا المثقفين، ص 12.
- (35) - حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، لبنان الجزائر، ط1، 2007، ص153.
- (36) - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص126.
- (37) - المرجع نفسه، ص 126.
- (38) - المرجع نفسه، ص129.
- (39) - إدوار سعيد، الآلهة التي تفشل دائما، ص 16.
- (40) - عزمي بشارة، عن المثقف والثورة، ص130.
- (41) - عبد الله الحمودي، الشيخ والمريد، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، المغرب، ط4، 2010، ص 204-205.
- (42) - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص125.
- (43) - المرجع نفسه، ص127.
- (44) - عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2013، ص44.
- (45) - آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص126.
- قائمة المصادر والمراجع:

1. الإبراهيمي محمد البشير، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج1940، 2-
- 1952، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار البصائر، الجزائر، ط2008، 1.
2. إنجلز دافيد، هيوسين جون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، تر: لما نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسة، قطر، ط1، 2013.
3. بشارة عزمي، عن المثقف والثورة، مجلة تبين، ع4، مج 1، 2013.
4. بلقزيز عبد الإله، نهاية الداعية الممكن والممتنع في ادوار المثقف، المركز الثقافي العربي، 2000.
5. بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، دار الفكر، سوريا، ط11، 2005.

6. بينيت طوني وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2010.
7. تورين ألان، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، تر: جورج كتوره، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2001.
8. الحوراني محمد عبد الكريم، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 2007.
9. سعيد إدوارد، الآلهة التي تقشل دائما، تر: حسام الدين خضور، دار التكوين، لبنان، ط1، 2003.
10. شحرور محمد، الدولة والمجتمع، دار الأهالي، سوريا، (دط)، (دس).
11. شوفاليه ستيفان و شوفري كريستيان، معجم بورديو، تر: الزهرة إبراهيم، دار النايا، الشركة الجزائرية السورية للنشر، ط1، 2013.
12. عمر السيد، مقارنة إسلامية في بناء مفهوم الأمة، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، ع 27، 2011.
13. غريتز كليفور، تأويل الثقافات، تر: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2009.
14. فازيو نبيل، مفهوم الأمة عند ناصيف نصار، مجلة المستقبل العربي، ع450، 2016.
15. لونيسي رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، دار كوكب العلوم الجزائر، ط1، 2007.
16. ليكلرك جيرار، سوسيولوجيا المثقفين، تر: جورج اكتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، .
17. ماكدونالد رونان، موت الناقد، تر: فخري صالح، دار العين للنشر، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2014.
18. مرسي محمد عبد المعبود، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، دراسات، مصر، ط1، (دس).
19. المولى علي صالح، هل من حاجة اليوم إلى مثقف هووي، مجلة تبين، ع 13، مج 4، 2015.

20. بعلي حفناوي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، لبنان الجزائر، ط1، 2007.
21. الحمودي عبد الله، الشيخ والمريد، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال، المغرب، ط4، 2010.
22. الداوي، عبد الرزاق في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر ط1، 2013.